اِرْفَعي صَوْتَكِ !

بَـيـانـات

اَلْكِتابُ : اِرْفَعي صَوْتَكِ !

تَأْليفٌ : العربي بنجلّون

رَسْمٌ : عبد اللّه دَرْقاوي

اَلْمُنَسِّقَةُ : هند آدم

الناشر : جمعية الإخاء للعمل النسائي والاجتماعي والنهوض بأوضاع الأم.

بشراكة : سفارة فِنْلَنْدا

الطَّبْعَةُ : الأولى 2018

اَلْإيداعُ الْقانوني : 2018MO2113

ردمك: 978-9920-35-704-3

اَلطِّباعَةُ : مطبعة البيضاوي

اِرْفَـعي صَوْتَـكِ !

مُنْذُ أنْ بَدَأْنا نَشْتَغِلُ في شَرِكَةِ ٱلْمَلابِسِ، ونَحْنُ نَجْتَمِعُ، مَرَّةً كُلَّ أُسْبوعٍ، في شُقَّةِ إحْدانا. نَتَناوَلُ وَجْبَةَ ٱلْغِذاءِ مُجْتَمِعاتٍ، ونُناقِشُ ما نَعيشُهُ مِنْ مَشاكِلَ، سَواءً في بُيوتِنا، أوْ في شَرِكَتِنا، كَيْ نَجِدَ لَها حُلولاً مُناسِبَةً، لأنَّنا جَميعاً عامِلاتٌ في مُسْتَوًى واحِدٍ، ما يَضُرُّ ٱلْواحِدَةَ مِنَّا تَشْعُرُ بِهِ ٱلْأُخْرى، كَأنَّنا أخَواتٌ شَقيقاتٌ، يَضُمُّنا نَفْسُ ٱلْبَيْتِ !

لَقَدْ قَضَيْنا حَوالَيْ عَشْرَ سَنَواتٍ، كانَتْ مِنْ أحْسَنِ فَتَراتِ حَياتِنا، إذْ لَمْ نَرَ مِنْ مُديرِ الشَّرِكَةِ، وٱلْحَقُّ يُقالُ، إلاَّ ٱلْمُعامَلَةَ ٱلْحَسَنَةَ، ولَمْ نَسْمَعْ مِنْ فَمِهِ إلاَّ ٱلْكَلامَ الَّذي (يَقْطُرُ عَسَلاً) !

كانَ يُعامِلُنا مِثْلَ بَناتِهِ، لا يُـمَـيِّـزُ بَيْنَنا، ولا يُفَضِّلُ هَذِهِ على تِلْكَ، إلى أنْ عَلِمْنا بِبُلُوغِهِ سِنَّ التَّقاعُدِ، فَنَظَّمْنا حَفْلاً، شَكَرْنا فيهِ أفْعالَهُ ٱلْحَسَنَةَ وقَدَّمْنا لَهُ هَدِيَّةً، تَليقُ بِمَقامِهِ، وتُعَبِّرُ عَنْ حُبِّنا لَهُ..ويا لَأَسَفِنا الشَّديدِ، كَمْ حَزِنّا على فِراقِهِ، فَمِثْلُهُ لا يُعَوَّضُ !

أحَسَّ بِقَلَقِنا، فَطَمْأَنَنا بِأنَّ ٱلْمُديرَ ٱلْجَديدَ الَّذي سَيَأْتي مَكانَهُ، شابٌّ رَزينٌ وكُفْءٌ، يَعْمَلُ بِجِدٍّ ونَشاطٍ، ويَعْرِفُ كَيْفَ يُديرُ أُمورَ الشَّرِكَةِ !

وٱلْحَقيقَةُ أنَّنا لَمَّا سَمِعْنا مِنْهُ هذا ٱلْكَلامَ، ٱسْتَبْشَرْنا خَيْرًا بِٱلْمُديرِ ٱلْجَديدِ، وقُلْنا سَيَكونُ (خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ)!..فَشَمَّرْنا عَنْ سَواعِدِنا، ووَضَعْنا أيْدِيَنا في يَدَيْهِ، ثُمَّ أخَذْنا نُضاعِفُ جُهودَنا في ٱلْعَمَلِ، ونُظْهِرُ نِـيَّـتَـنا ورَغْبَـتَـنا في

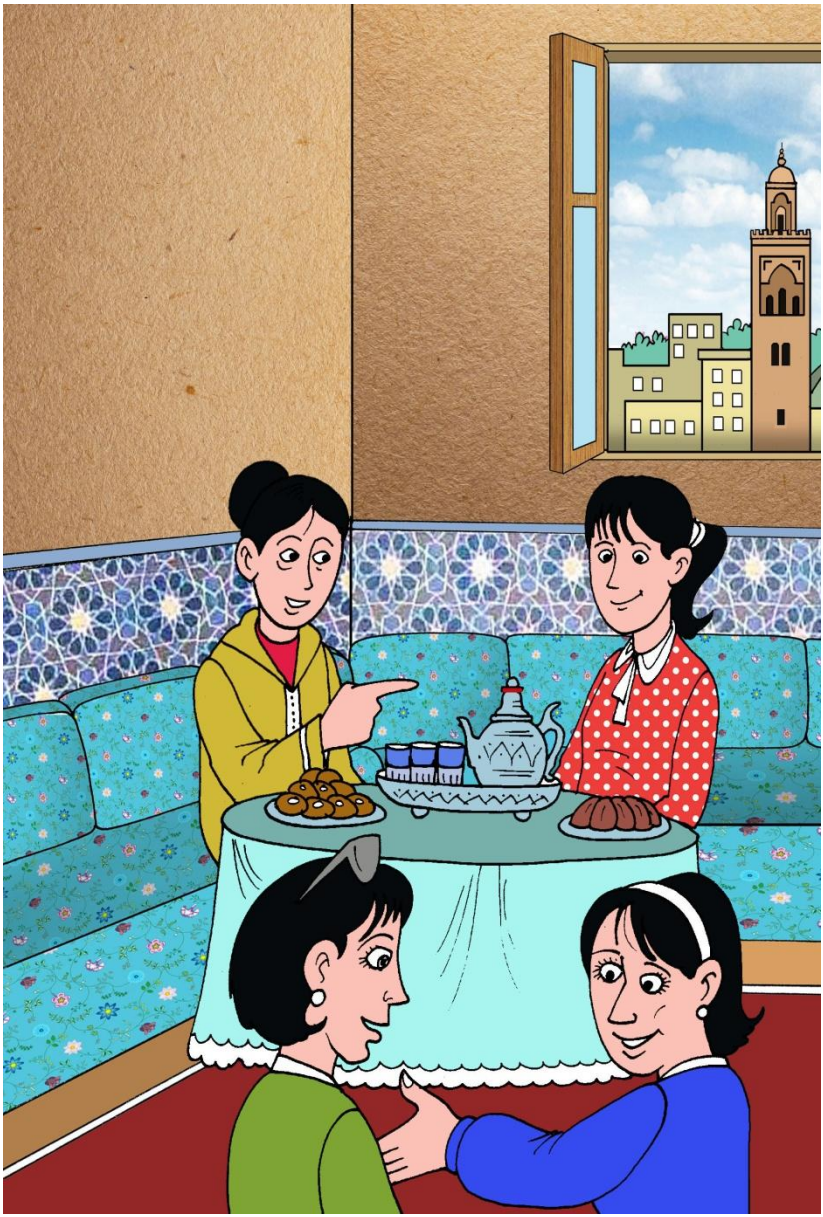

تَحْسينِ والرَّفْعِ مِنْ إنْتاجِ الشَّرِكَةِ، كَيْ يَثِقَ بِنا، ويَطْمَئِنَّ إلَيْنا، كما ٱلْمُديرُ ٱلْمُتَقاعِدُ !

لَكِنَّهُ ظَنَّ ٱجْتِهادَنا، وحُضورَنا في ٱلْوَقْتِ ٱلْمُحَدَّدِ، وٱحْتِرامَنا لَهُ، ضَعْفًا فينا، وخَوْفًا مِنْهُ. فَلاحَظْنا سُلوكَهُ يَتَغَيَّرُ مَعَنا، شَيْئاً فَشَيْئاً، ونَظَراتِهِ نَحْوَنا وحَرَكاتِهِ غَيْرَ ٱلْعادِيَّةِ، لا تُطَمْئِنُ، ولا تُريحُ ٱلْعَقْلَ، فَأَدْخَلَتِ الشَّكَّ في نُفوسِنا وقُلوبِنا، كَأَنَّ ما قالَهُ لَنا ٱلْمُديرُ السَّابِقُ لَيْسَ إلاَّ مُجامَلَةً لِيُرْضِيَهُ، فَأَخَذْنا نَحْتَرِسُ مِنْهُ !

ويَوْماً ما، بَيْنَما كانَ يَتَفَقَّدُنا في قاعَةِ ٱلْخِياطَةِ وٱلْفِصالَةِ، تَوَقَّفَ عِنْدَ صَديقَتِنا بُشْرى، وبَدَأَ يَتَفَحَّصُ قَميصاً تَخيطُهُ، وبَيْنَ ٱلْحينِ وٱلْحينِ يَعْبِسُ، ويَنْظُرُ إلَيْها بِطَرَفِ عَيْنِهِ، يُحاوِلُ أنْ يُشْعِرَها بِتَقْصيرِها في عَمَلِها، وهِيَ النَّشيطَةُ،

الَّتي نُمازِحُها، فَنُنادِيها بِـ(النَّمْلَةِ الشَّغَّالَةِ)!..
وأخيراً، هَزَّ رَأْسَهُ وثَبَّتَ عَيْنَيْهِ في وَجْهِها قائلاً:
– أوْقِفي ٱلْآلَةَ، وٱلْتَحِقي بي حالاً، لِنَرى ما الَّذي يَنْبَغي أنْ نَفْعَلَهُ !
اِلْتَفَتَتْ كُلٌّ مِنَّا إلى ٱلْأُخْرى، في نَفْسِ اللَّحْظَةِ، نَتَساءَلُ في دَهْشَةٍ :
– يَا لَلْعَجَبِ!..ماذا فَعَلَتْ صَديقَتُنا بُشْرى، فَيَطْلُبَها أنْ تَلْتَحِقَ بِهِ في مَكْتَبِهِ، وهِيَ أكْثَرُنا إتْقاناً لِلْفِصالَةِ وٱلْخِياطَةِ ؟!
اِنْتَظَرْنا بِفارِغِ الصَّبْرِ عَوْدَتَها، لِتُخْبِرَنا بِٱلْخَطَإِ ٱلْكَبيرِ، الَّذي رُبَّما فَعَلَتْهُ، ولَمْ تَشْعُرْ بِهِ، ولا نَحْنُ مَعَها. لَكِنَّ ٱلْمُفاجَأَةَ، هِيَ أنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَتَكَلَّمَ بِٱلْمَرَّةِ، وبَقِيَتْ حانِيَةً رَأْسَها، مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغيرَةٍ خائفَةٍ !

ورَغْمَ أنَّني صَديقَتُها ٱلْوَحيدَةُ الَّتي تَثِقُ بِي، وتَحْكي لي أسْرارَها، ٱلْحُلْوَةَ مِنْها وٱلْمُرَّةَ، فَإنَّها رَفَضَتْ أنْ تُخْبِرَني بِالشَّيْءِ الَّذي غَيَّرَ خاطِرَها، وجَمَّدَ الدَّمَ في وَجْهِها، فَصارَ شاحِباً أصْفَرَ، يَدُلُّ على أمْرٍ غَيْرِ عادِيٍّ !

وبَيْنَما كُنَّا مُتَحَلِّقاتٍ حَوْلَها، نُحاوِلُ أنْ نَفُكَّ لِسانَها، لِنَعْرِفَ مِنْها ما جَرى وطَرى، سَمِعْنا بابَ ٱلْمَكْتَبِ يُفْتَحُ، وٱلْمُديرُ يَظْهَرُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ مِنَّا بِخَطَواتٍ سَريعَةٍ ومُضْطَرِبَةٍ، قائلاً بِعَصَبِيَّةٍ :

–لماذا أنْتُنَّ مُجْتَمِعاتٌ؟!..ألاَ تَعْرِفْنَ ماذا فَعَلَتْهُ صَديقَتُكُنَّ الَّتي تَفْتَخِرْنَ بِها؟!

لَمْ نُجِبْهُ، لأنَّنا نَعْرِفُ أنَّ بُشْرى جِدِّيَّةٌ في خِدْمَتِها، ولَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً، تَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ اللَّوْمَ وٱلْعِتابَ، مُنْذُ أنْ بَدَأتْ عَمَلَها في الشَّرِكَةِ، حينَ

تُوُفِّيَ زَوْجُها في حادِثَةِ سَيْرٍ مُرَوِّعَةٍ، تارِكاً لَها طِفْلَيْنِ في عُمْرِ الزُّهورِ، وهِيَ ما زالَتْ شابَّةً، لَمْ تَنْعَمْ طَويلاً بِحَياتِها مَعَهُ. فَما كانَ لَها الشَّقِيَّةُ إلاَّ أنْ تَنْزِلَ إلى سوقِ الشُّغْلِ، كَيْ تُطْعِمَ طِفْلَيْها، وتَحْمِيَهُما مِنَ التَّشَرُّدِ وٱلْحِرْمانِ !

سَأَلْتُهُ هادِئةً غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ :

– وما الَّذي فَعَلَتْهُ، فَنَنْصَحَها بِألاَّ تُكَرِّرَ ٱلْغَلَطَ، ونَسْتَفيدَ، نَحْنُ كَذَلِكَ، فَنُحَسِّنَ عَمَلَنا ؟!

أجابَني باسِماً، كَأَنَّهُ نَجَحَ في تَغْلِيطِنا :

–حَقًّا ما قُلْتِ، يا فَاطِمَةُ!..لَقَدْ خاطَتْ بُشْرى كُمَّ هذا ٱلْقَميصِ ٱلْأَيْمَنَ أوْسَعَ مِنَ ٱلْكُمِّ ٱلأيْسَرِ، هَلْ هذا يَقْبَلُهُ ٱلْعَقْلُ؟!..وهَلْ هذا ٱلْعَمَلُ تَقومُ بِهِ مَنْ تُتْقِنُ حِرْفَتَها ؟!

أرادَتْ بُشْرى أنْ تَنْطِقَ، فَقاطَعَها غاضِباً :

–أغْلِقي فَمَكِ، فَمِثْلُكِ لا تَتَكَلَّمُ، وغَدًا سَأُخْبِرُ شُرَكائي بِتَقْصيرِكِ، إذا لَمْ تُطيعي كَلامي، وتُنَفِّذي أوامِري، وأنْتِ تَفْهَمينَ جَيِّداً قَصْدي !

وٱنْصَرَفَ مِنْ أمامِنا، مُتَصَنِّعاً ٱلْغَضَبَ، فيما بَقينا واقِفاتٍ في مَكانِنا، لا نَفْهَمُ شَيْئاً مِمَّا نَرى بِعُيونِنا، ونَسْمَعُ بِآذانِنا، ولا نَعْرِفُ مَنْ نُصَدِّقُ : أَصَديقَتَنا بُشْرى أمِ ٱلْمُديرَ!..ولِكَيْ نَقْطَعَ الشَّكَّ بِٱلْيَقينِ، قِسْنا ٱلْكُمَّيْنِ مَعاً، فَوَجَدْناهُما مُتَساوِيَيْنِ تَماماً، خِلافاً لِما يَدَّعيهِ !..وهُنا، ظَهَرَ لَنا أنَّ في ٱلْأَمْرِ سِرًّا خَفِيًّا نَجْهَلُهُ!

قُلْتُ لِبُشْرى مُسْتَغْرِبَةً :

–ما لي أراكِ ساكِتَةً كَٱلْحَجَرِ؟!..اِنْطِقي ولَوْ بِكَلِمَةٍ، تَشْرَحينَ لَنا ماذا وَقَعَ؟!..لِمَ أنْتِ حَزينَةٌ لا تَتَكَلَّمينَ، ولا تَحْكينَ، كَعادَتِكِ دائماً ؟!..قولي

شَيْئاً، يُخْرِجُكِ مِنْ صَمْتِكِ ٱلْمُطْبَقِ!

سَكَتْتُ لَحْظَةً، ثُمَّ صِحْتُ فيها بِصَوْتٍ عالٍ، وعَيْنَيْنِ عابِسَتَيْنِ :

–اِرْفَعي صَوْتَكِ عالِياً، وٱحْكي ما جَرى لَكِ بِالضَّبْطِ، ولا تَخْشَيْ سوءاً (لا تَخافيهِ) فَكُلُّ صَديقاتِكِ سَيَقِفْنَ بِجانِبِكِ، إنْ كُنْتِ مُحِقَّةً !

نَظَرَتْ إلَيَّ بِوَجْهٍ حَزينٍ، وبَدَأتْ تُتَمْتِمُ بِكَلِماتٍ غامِضَةٍ، ثُمَّ تَشَجَّعَتْ، فَٱنْطَلَقَتْ تَحْكي لَنا ٱلْواقِعَةَ دونَ ٱضْطِرابٍ أوْ خَوْفٍ :

– حينَ دَخَلْتُ مَكْتَبَهُ، وَقَفَ وٱسْتَقْبَلَني بِوَجْهٍ باسِمٍ، وجَرَّ لي ٱلْكُرْسِيَّ بِأدَبٍ لِأَجْلِسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ لي بِصَوْتٍ خَفيضٍ، كَيْ لا تَسْمَعْنَهُ :

– اِفْرَحي وٱسْعَدي، يا بُشْرى، لَقَدْ قَرَّرْتُ، مُنْذُ ٱلْغَدِ، أنْ أُرَقِّيَكِ، فَتُصْبِحي رَئيسَةً على صَديقاتِكِ.

وبِطَبيعَةِ ٱلْحالِ، سَتَتَحَسَّنُ أُجْرَتُكِ، وسَتَتَمَتَّعينَ بِٱلْإِكْرامِيَّاتِ، كُلَّ سِتَّةِ أشْهُرٍ. وهَذِهِ فُرْصَةٌ مُواتِيَةٌ لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، فَماذا تَقولينَ، أيَّتُها ٱلْجَميلَةُ ؟!

فاجَأَني بِهَذا ٱلْعَرْضِ ٱلْمُغْري، الَّذي لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبالي، ولا حَلَمْتُ بِهِ بَتَاتاً، كَأَنَّني عَثَرْتُ على كَنْزِ عَلِي بَابَا !

قُلْتُ في نَفْسي :

–لا شَكَّ أنَّ هَذِهِ التَّرْقِيَّةَ مِنْ رِضا ٱلْوالِدَيْنِ!

غَيْرَ أنَّ فُضولي دَفَعَني إلى أنْ أسْألَهُ :

– أجِبْني، سَيِّدي ٱلْمُديرَ : لماذا ٱخْتَرْتَني دونَ صَديقاتي، ٱلأَقْدَمِ مِنِّي في الشَّرِكَةِ، وهُنَّ اللَّواتي ساعَدْنَني على التَّعَلُّمِ وٱلْعَمَلِ، لَمَّا ذَهَبَ زَوْجي ضَحِيَّةَ حادِثَةِ سَيْرٍ، ولَمْ يَتْرُكْ لي عَشاءَ لَيْلَةٍ ؟!

ظَهَرَتْ على وَجْهِهِ ٱبْتِسامَةٌ عَريضَةٌ، كَأَنَّني

لَقَّمْتُهُ جَواباً على سُؤالي :

– حَسَناً ما قُلْتِهِ، يا بُشْرى، فَأنا سَأكونُ بِمَثابَةِ زَوْجِكِ، أُعينُكِ بِكُلِّ ما تَحْتاجينَهُ، ولَنْ يَنْقُصَكِ شَيْءٌ !

سَأَلْتُهُ مُتَعَجِّبَةً :

– وما الَّذي تَطْلُبُهُ مِنِّي، مُقابِلَ هذا ٱلْكَرَمِ ؟!

– لا شَيْءَ، سِوى أنْ تَزوريني مِنْ حينٍ لِآخَرَ في شُقَّتي، وتَقْضي مَعي أوْقاتاً مُمْتِعَةً، ثُمَّ تَنْصَرِفي، وهَكَذا...!

قَفَزْتُ واقِفَةً مِنْ فَوْقِ ٱلْكُرْسي، كَمَنْ لَسَعَهُ زُنْبورٌ، أوْ وَخَزَتْهُ إبْرَةٌ، إذْ شَعَرْتُ أنَّهُ يَطْمَعُ بِإغْراءاتِهِ، إلى تَذْويبي كَقِطْعَةِ سُكَّرٍ في كَأْسِ شايٍ ساخِنٍ، فَقُلْتُ لَهُ :

– عَفْواً، لا أُريدُ تَرْقِيَّةً، ولا رِئاسَةً، ولا إكْرامِيَّةً

وأُجْرَتي تَكْفيني، وتَسُدُّ حاجِياتي..ولِلَّهِ ٱلْحَمْدُ !

لَمْ يُعْجِبْهُ رَدِّي، فَأرادَ أنْ يُهَدِّدَني بِالطَّرْدِ مِنَ الشَّرِكَةِ، لِأَنَّني لَمْ أذْعَنْ لِرَغَباتِهِ !

بَسَطَ ٱلْقَميصَ على سَطْحِ ٱلْمَكْتَبِ قائلاً :

–دَعْكِ مِنَ ٱلْقيلِ وٱلْقالِ، وتَعالَيْ تَرَيْ أخْطاءَكِ في ٱلْفِصالَةِ وٱلْخِياطَةِ !

ظَنَنْتُهُ جادًّا في كَلامِهِ، فَتَقَدَّمْتُ مِنْ حافَةِ ٱلْمَكْتَبِ لِأَرى ٱلْخَطَأَ، إذا بِهِ يَقْتَرِبُ مِنِّي أكْثَرَ لِيُلامِسَني سائِلاً :

– فَكِّري، أيَّتُها ٱلْبَهْلاءُ، أهُناكَ مَنْ تَأْتيهِ النِّعْمَةُ إلى بَيْتِهِ فَيَرْفُضَها؟!

اِنْتَزَعْتُ نَفْسي مِنْهُ، ودَفَعْتُهُ نَحْوَ ٱلْكُرْسِيِّ قائلَةً :

–ألاَ تَعْلَمُ أنَّ هُناكَ فاصِلاً بَيْنَ الرَّجُلِ وٱلْمَرْأةِ

يُقَدَّرُ بِنِصْفِ مِتْرٍ تَقْرِيباً، كَيْ لا يَقَعَ أيُّ احْتِكاكٍ بَيْنَهُما، أوْ يَتَعَدَّى أحَدُهُما حُدودَ ٱلْآخَرِ؟!

أطْلَقَ ضَحْكَةً، وقالَ لي ساخِراً :

– لَمْ أكُنْ أعْرِفُ أنَّ في شَرِكَتِنا مُحامِيةً بارِعَةً، تَفْهَمُ في ٱلْقَوانينِ وٱلْحُقوقِ !

فَتَحْتُ ٱلْبابَ، وغادَرْتُ ٱلْمَكْتَبَ، قَبْلَ أنْ يَتَطَوَّرَ تَحَرُّشُهُ بي إلى عُنْفٍ !

وكَأنَّ صَديقَتَنا فَتيحَةَ كانَتْ غارِقَةً في نَوْمِها، فَقامَتْ لِتَرْفَعَ صَوْتَها :

– أنا أيْضاً لاحَظْتُهُ، أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، يَغْمِزُني، ويُشيرُ لي بِرَأْسِهِ أنْ أبْقى داخِلَ الشَّرِكَةِ، حَتَّى تَفْرَغَ مِنْكُنَّ، كَيْ يَنْفَرِدَ بي!

وتَدَخَّلَتْ زَيْنَبُ قائلةً :

– أنا أيْضاً، يا ما تَوَقَّفَ لي بِسَيَّارَتِهِ في

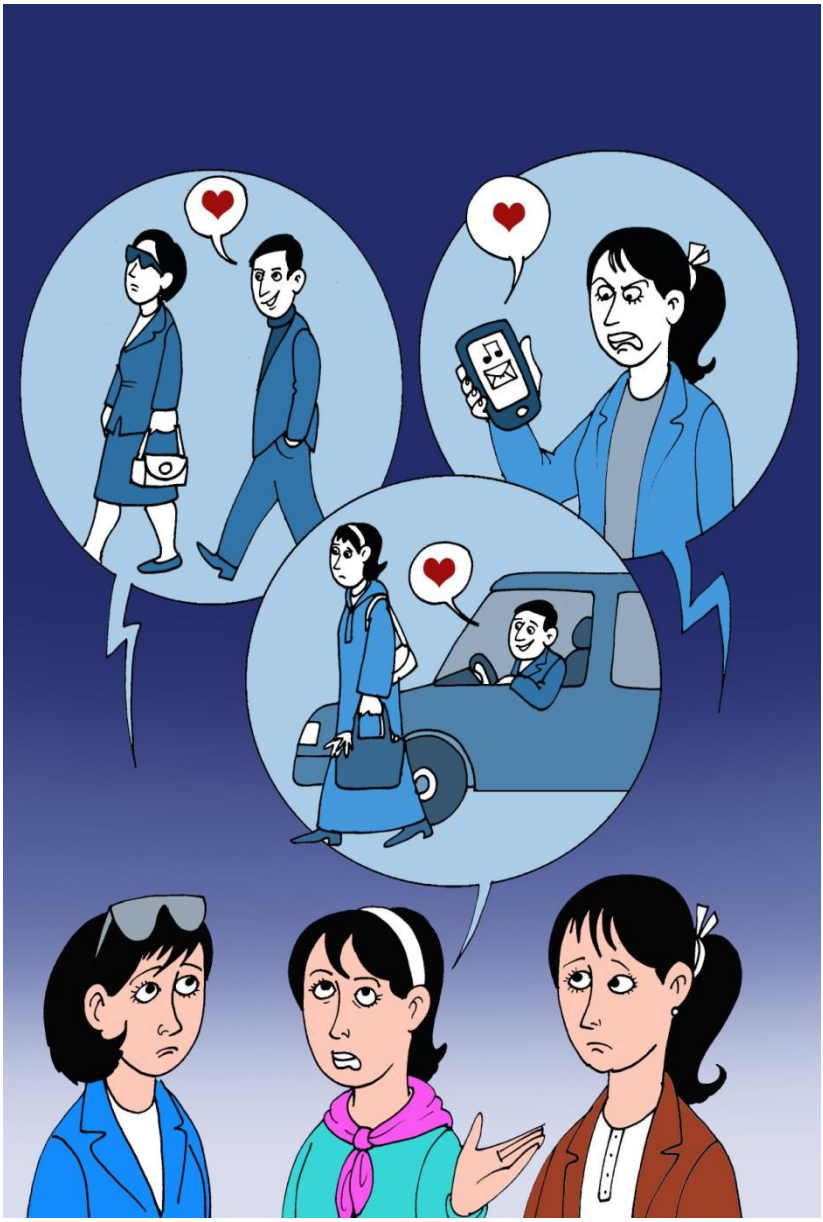

الطَّريقِ، طالِباً مِنِّي أنْ أرْكَبَ مَعَهُ، لِيوصِلَني إلى بَيْتي، فَأُديرُ لَهُ ظَهْري، وأُتابِعُ سَيْري، غَيْرَ مُهْتَمَّةٍ بِهِ !

ونَطَقَتْ صَديقَتي الشَّابَّةُ ٱلْعازِبَةُ كَريمَةُ :

– أنا أيْضاً، رَآني يَوْماً في الشَّارِعِ، فَأَخَذَ يُلاحِقُني مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ، ويُطْلِقُ وَرائي كَلِماتٍ، تَخْدِشُ ٱلْحَياءَ. لَكِنَّني لَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِ، بَلْ تَظاهَرْتُ بِأنَّني لا أسْمَعُهُ، كَأَنَّني طَرْشاءُ. كما لَمْ أُخْبِرْ أَيًّا مِنْ أفْرادَ أُسْرَتي، كَيْ لا يَسْتَشيطَ أخي ٱلْكَبيرُ غَضَباً، فتَتَعَقَّدَ ٱلْمُشْكِلَةُ !

قالَتْ صَديقَتي ٱلْحامِلُ نَعيمَةُ :

– أنا أيْضاً، هاتَفَني مَرَّاتٍ، وأرْسَلَ إلَيَّ رَسائلَ عَبْرَ ٱلْأنْتِرْنيتْ، يُسِرُّ لي بِرَغْبَتِهِ في لِقائي. ورَغْمَ أنَّني نَصَحْتُهُ بِٱلْكَفِّ عَنْ مُكالَماتِهِ ورَسائلِهِ

الَّتي لَوْ عَلِمَ بِها زَوْجي ٱلْغَيورُ، فَسَيَتَّهِمُني بِأنَّ ٱلْمُبالَغَةَ في ٱلْعِنايَةِ بِمَظْهَري، وفي لِباسي ٱلْعَصْرِيِّ، هِيَ الَّتي جَعَلَتْهُ يَتَجَرَّأَ عَلَيَّ، مِمَّا سَيَجِدُ سَبَباً قَوِيًّا لِحِرْماني مِنَ ٱلْعَمَلِ، بَلْ مِنْ زِيارَةِ أقارِبي..فَإنَّهُ بَقِيَ يُعاكِسُني!..ولِهَذا فَضَّلْتُ السُّكوتَ، والصَّبْرَ على هَذِهِ ٱلْمُصيبَةِ، خَوْفاً مِنَ ٱلْفَضيحَةِ، لِأنَّ النَّاسَ سَيُطْلِقونَ ألْسِنَتَهُمْ طَويلاً، ويَجْعَلونَ (ٱلْحَبَّةَ قُبَّةً)..ولَوْلا ما حَصَلَ لِصَديقَتِنا بُشْرى، لَبَقِيَتْ قِصَّتي مَعَهُ حَبيسَةَ صَدْري !

لَمْ يَعُدْ بِوُسْعِنا أنْ نَتَحَمَّلَ مَزيداً مِنَ التَّصَرُّفاتِ الطَّائشَةِ، ومِنْ أوَّلِ مَسْؤولٍ عَنْ سُمْعَةِ الشَّرِكَةِ وعامِلاتِها، فَوَضَعْتُ حَدًّا لِشِكاياتِهِنَّ :

– كَفى، لا أُحِبُّ أنْ أسْمَعَ عَنْهُ أكْثَرَ!.. نَحْنُ نُواجِهُ حالَةَ إنْسانٍ مُتَهَوِّرٍ، لا يُقيمُ وَزْناً لِلْأَخْلاقِ

جمعية كفى من التحرش
مرشدة اجتماعية

ولا يَحْتَرِمُ كَرامَةَ ٱلْجَسَدِ، وٱلْجَسَدُ لَهُ حُرْمَةٌ، سَواءً كانَ لِامْرَأَةٍ أوْ لِرَجُلٍ. وعَلَيْنا أنْ نَتَّخِذَ مَوْقِفاً حازِماً وإلاَّ سَيَنْتَقِمُ مِنَّا، ٱلْواحِدَةِ تِلْوَ ٱلْأُخْرى، فَيَنْطَبِقُ عَلَيْنا ٱلْمَثَلُ السَّائِرُ: ((أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ ٱلْأَبْيَضُ)) !

وافَقَتْني بُشْرى بِحَماسَةٍ :

– نِعْمَ الرَّأْيُ، صَديقَتي فاطِمَةُ، لا يَنْبَغي أنْ نَبْقى مَكْتوفاتِ ٱلْأَيْدي. ولِنَرْفَعْ أصْواتَنا عالِياً، كما رَفَعْتُهُ أنا ٱلْيَوْمَ بِفَضْلِكِ، كَيْ لا يَتَكَرَّرَ هذا السُّلوكُ السَّيِّئُ في شَرِكَتِنا، أو في أماكِنَ غَيْرِها !

اِقْتَرَحَتْ عَلَيْنا كَريمَةُ أنْ لا نَتَسَرَّعَ، فَنَتَّخِذَ مَوْقِفاً مُسْبَقاً، قَبْلَ أنْ نَتَّصِلَ بِإِحْدى ٱلْجَمْعِيَّاتِ النِّسائِيَّةِ، لِنَسْتَشيرَها في مُشْكِلِنا، وما يَجِبُ أنْ نَفْعَلَهُ. فَٱسْتَحْسَنَّا جَميعاً رَأْيَها، وعَزَمْنا على زِيارَةِ

جَمْعِيَّةِ (كَفى مِنَ التَّحَرُّشِ)!

أحْسَسْنا بِالطُّمَأْنينَةِ والثِّقَةِ تَمْلَآنِ نُفوسَنا، عَنْدَما قَصَدْنا ٱلْجَمْعِيَّةَ، وٱسْتَقْبَلَتْنا ٱلْمُرْشِدَةُ ٱلْإِجْتِماعِيَّةُ. فَأَكَّدَتْ لَنا بِأَنَّ حالَتَنا عادِيَّةٌ جِدًّا، سَتَعْمَلُ على عِلاجِها، بِٱلْإِرْشادِ والدَّعْمِ النَّفْسي وٱلْقانوني. وأَنَّ مُجْتَمَعَنا يَشْكو مِنْ هَذِهِ ٱلْحالَةِ، لِأَنَّ هُناكَ تَقْصيراً في تَرْبِيةِ وتَعْليمِ ٱلْمُواطِنِ ٱحْتِرامَ ٱلْآخَرِ، وأَنْ يَشْعُرَ، مُنْذُ طُفولَتِهِ ٱلأُولى، بِأَنَّ لَهُ حُرِّيةً ومَسؤولِيَّةً في ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ؛ فَٱلْحُرِّيةُ لا تَعْني ٱلْإِعْتِداءَ على ٱلْغَيْرِ، أوْ نَفْعَلُ كُلَّ ما نُريدُ. وٱلْمَسْؤولِيَّةُ كَاللِّجامِ، تُوَجِّهُ وتُرْشِدُ وتَحُدُّ مِنَ التَّهَوُّرِ وٱلْفَرْعَنَةِ، ولَوْ كُنَّا نَتَقَلَّدُ مَنْصِباً كَبيراً !

غَيْرَ أنَّ ٱلْعَقَبَةَ الَّتي وَجَدْناها في طَريقِنا، هِيَ

كَيْفَ نُثْبِتُ لِلْقَضاءِ أنَّ هذا الشَّابَّ ٱلْمُتَهَوِّرَ، يَسْتَغِلُّ مَنْصِبَهُ وسُلْطَتَهُ، لِيَتَحَرَّشَ بِنا في الشَّرِكَةِ والطَّريقِ، وعَبْرَ ٱلْهاتِفِ وٱلْأنْتِرْنيتْ. ولا يَكْفينا أنْ نَشْهَدَ جَميعُنا على أفْعالِهِ، فَسَيَدَّعي ٱخْتِلاقَنا تُهْمَةَ التَّحَرُّشِ لِلْانْتِقامِ مِنْهُ :

– إذَنْ، ما الَّذي يَجِبُ أنْ نَفْعَلَهُ، ونَحْنُ نُواجِهُ مُديراً يَسْتَقْوي عَلَيْنا بِسُلْطَتِهِ ؟!

سَألْنا ٱلْمُرْشِدَةَ مُحْتاراتٍ، فَأجابَتْنا مُتَفائلَةً :

– نَحْنُ سَنُعَيِّنُ مُحامِياً، يَعْرِضُ قَضِيَّتَكُنَّ على ٱلْعَدالَةِ. وأنْتُنَّ سَتَتَّصِلْنَ بِٱلْمُديرِ ٱلْمُتَقاعِدِ، فَرُبَّما يُساعِدُكُنَّ، كَأَنْ يُدْلِيَ بِشَهادَتِهِ في حَقِّكُنَّ، لِيُقَوِّي بِها مَوْقِفَكُنَّ أمامَ ٱلْقَضاءِ !

عَمِلْنا بِنَصيحَةِ ٱلْمُرْشِدَةِ، فَٱتَّصَلْنا بِٱلْمُديرِ السَّابِقِ، الَّذي سُرَّ بِزِيارَتِنا، لَكِنَّهُ ٱنْدَهَشَ لِسُلوكِ

ٱلْمُديرِ ٱلْجَديدِ، وقالَ لَنا :

– يَنْبَغي أنْ أُفَكِّرَ في دَليلٍ قَوِيٍّ، يُؤَكِّدُ هَذِهِ ٱلْوَقائِعَ، فَإنْ ثَبُتَ ما تَتَّهِمونَهُ بِهِ، فَسَنَعْرِضُهُ على ٱلْمَجْلِسِ التَّأْديبي، أوْ نُحيلُهُ على ٱلْعَدالَةِ. إذَنْ، عَلَيْكُنَّ، ٱلْآنَ، أنْ تَلْتَحِقْنَ بِعَمَلِكُنَّ، وتُعامِلْنَهُ بِٱحْتِرامٍ، ولا تُخْبِرْنَهُ بِشَيْءٍ، كَيْ نُفاجِئَهُ !

في ٱلْغَدِ، حَضَرَ ٱلْمُديرُ ٱلْمُتَقاعِدُ، صُحْبَةَ ثَلاثَةٍ مِنَ الشُّرَكاءِ ٱلْمُساهِمينَ. وطَلَبوا مِنَّا أنْ نوقِفَ ٱلْعَمَلَ، ونَلْتَحِقَ بِهِمْ في ٱلْمَكْتَبِ !

ولا تَسْأَلوا عَنْ حالَةِ صاحِبِنا (زيرِ النِّساءِ)!.. فَبِمُجَرَّدِ أنْ دَخَلْنا، ٱحْمَرَّ وَجْهُهُ، وخَفَضَ عَيْنَيْهِ، وبَدَأَ يَنْطِقُ بِكَلِماتٍ يَعْتَذِرُ فيها، ويَعْتَرِفُ بِخَطَئِهِ وبِحِساباتِهِ ٱلْمَغْلوطَةِ !

كانَ يَتَوَهَّمَ أنَّ أمامَهُ فُرْصَةً، يَسْتَغِلُّ فيها

وَضْعَنا ٱلْهَشَّ، كَعامِلاتٍ وأُمِّيَّاتٍ، لِيُشْبِعَ شَهَواتِهِ، دونَ ناهٍ أوْ رادِعٍ، لَكِنَّ ((الرِّياحَ جَرَتْ بِما لا تَشْتَهي السُّفُنُ)) كما يُقالُ!

قَبْلَ أنْ نَدْخُلَ، أنْكَرَ لِلَّجْنَةِ ٱلْوَقائعَ، جُمْلَةً وتَفْصيلاً، لَكِنْ، عِنْدَما قَصَدَ رَئيسُها آلَةَ التَّصْويرِ ٱلْخاصَّةَ بِمُراقَبَةِ الشَّرِكَةِ، وأعادَ تَسْجيلَ شَريطِها لِلْأسابيعِ ٱلْماضِيَةِ، لَمْ يَجِدْ صاحِبُنا ما يُدافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَٱلْكُلُّ أصْبَحَ واضِحاً لِلْعِيانِ. وهَلْ يَسْتَطيعُ ٱلْغِرْبالُ أنْ يَحْجُبَ أشِعَّةَ الشَّمْسِ ؟!

تَأَمَّلَنا ٱلْمُديرُ ٱلْمُتَقاعِدُ، واحِدَةً واحِدَةً، وهُوَ يُظْهِرُ لَنا الشَّريطَ، ثُمَّ خاطَبَنا قائلاً :

– هَنيئاً، يا بَناتي ٱلْمُؤَدَّباتِ، لَقَدْ أخْرَجْنا هذا الشَّريطَ مِنَ ٱلْمُصَوِّرَةِ، الَّتي تَلْتَقِطُ كُلَّ ما يَحْدُثُ

في أرْكانِ الشَّرِكَةِ، ومُحيطِها ٱلْخارِجي. إنَّ هذا ٱلْمُديرَ، الَّذي وَضَعْنا فيهِ ثِقَتَنا، خَيَّبَ أمَلَنا، وتَبَيَّنَ أنَّهُ غَيْرُ أهْلٍ لِهَذا ٱلْمَنْصِبِ ٱلْإدارِيِّ !

ونَطَقَ رَئيسُ اللَّجْنَةِ قائلاً :

– نَظَراً لِـ(إمْعانِهِ) في التَّحَرُّشِ، بِشَهادَتِكُنَّ أوَّلاً، وبِتَسْجيلِ ٱلْمُصَوِّرَةِ، صَوْتاً وصورَةً ثانياً، وبِالرَّسائلِ ٱلْمُسَجَّلَةِ في هاتِفِ نَعيمَةَ ثالِثاً، وبِٱعْتِرافِهِ رابِعاً، فَإنَّنا سَنُحيلُهُ على ٱلْمَجْلِسِ التَّأْديبي، لِيَتَّخِذَ في حَقِّهِ قَراراً مُناسِباً لِفِعْلِهِ. وسَيَتَوَلَّى ٱلْمُديرُ ٱلْمُتَقاعِدُ تَسْيِيرَ الشَّرِكَةِ مَكانَهُ، رَيْثَما نُعَيِّنُ مُديراً جَديداً. فَٱرْجِعْنَ إلى عَمَلِكُنَّ مُطْمَئِنَّاتٍ، وتَأَكَّدْنَ بِأنَّ ٱلْقَضاءَ سَيَحْميكُنَّ دائماً مِنْ أيِّ شَطَطٍ أوْ تَحَرُّشٍ، ما دُمْتُنَّ سائراتٍ على دَرْبِ ٱلْخُلُقِ ٱلْكَريمِ، والسُّلوكِ ٱلْحَسَنِ !

كَلِماتٌ..ومَعانٍ :

لاقَ، يَليقُ بِهِ : ناسَبَهُ

عَبَّرَ، يُعَبِّرُ عَنْ رَغْبَةٍ : بَيَّنَها

كُفْءٌ : مُقْتَدِرٌ

خَلَفٌ : لاحِقٌ كَٱلْإِبْنِ

سَلَفٌ : سابِقٌ كَٱلْأَبِ

تَفَقَّدَ الشَّرِكَةَ : راقَبَها، فَتَشَها

تَفَحَّصَ اللِّباسَ : دَقَّقَ النَّظَرَ

قَصَّرَ في عَمَلِهِ : أهْمَلَهُ

غَيْرُ أهْلٍ : لا يَسْتَحِقُّ

أمْعَنَ في التَّحَرُّشِ : بالَغَ فيهِ

أحالَ، يُحيلُ : حَوَّلَ

شَطَطٌ : ظُلْمٌ، تَعَدٍّ

اِعْتَرَضَ، يَعْتَرِضُ : سَدَّ ـ مَنَعَ

شَمَّرَ، يُشَمِّرُ : لَفَّ ـ عَمِلَ بِجِدٍّ

أتْقَنَ عَمَلَهُ : أحْسَنَهُ، ضَبَطَهُ

حادِثَةٌ مُرَوِّعَةٌ : مُخيفَةٌ

الشَّقِيَّةُ : التَّعيسَةُ، قَليلَةُ الْحَظِّ

يَدَّعي : يَزْعُمُ

بَتاتاً : قَطْعاً، بِالْمَرَّةِ

لَقَّمَ، يُلَقِّمُ : سَدَّ فَمَهُ

مَثابَةٌ : مَنْزِلَةٌ، مَرْتَبَةٌ

أذْعَنَ، يُذْعِنُ : اِنْقادَ، خَضَعَ

دَعْكَ : اُتْرُكْكَ

ساخِرٌ : هازِئٌ، مُتَهَكِّمٌ

أسَرَّ، يُسِرُّ : أخْفى

تَقَلَّدَ، يَتَقَلَّدُ مَنْصِباً : تَوَلاَّهُ

اِخْتَلَقَ : اِفْتَرى، قالَ كَذِباً

سُرَّ، يُسَرُّ : فَرِحَ

تَأَمَّلَ، يَتَأَمَّلُ : أطالَ النَّظَرَ

اِلْتَحَقَ، يَلْتَحِقُ بِهِ : تَبِعَهُ

زيرُ النِّساءِ : يَزورُهُنَّ

أُمِّياتٌ : لا يَقْرَأْنَ ولا يَكْتُبْنَ

رادِعٌ : مانِعٌ

هَشٌّ : رَخْوٌ ـ رَطْبٌ